كواليس السياسة في واشنطن : كارل روف يفكر والرئيس بوش ينفذ

21-2-2005

وعلى الرغم أن كارل روف يعد واحدا من جمهرة من محترفي مكاتب المشورة السياسية، والتي تضم نحوا من 7 آلاف مستشار سياسي في محيط السياسة الأميركية، إلا أن تركيزه إلى درجة التجرد والتعمق جعله أكثر هؤلاء المستشارين تأثيرا ونفوذا

معهد المشاريع الأمريكية أو كما يسمونه في العاصمة الأميركية – واشنطن - باسم معهد "إنتربرايز"، وهو المؤسسة التي باتت تشكل المختبر أو المعمل، أو فلنقل الفرن العالي الذي انصهرت فيه الأفكار والنظريات والدعوات التي حولت أمريكا من دولة إلى امبراطورية. معهد "انتربرايز" في واشنطن هو مصنع أفكار المحافظين الجدد، الذين نشروا "صقورهم" في البيت الأبيض والبنتاغون والكونغرس وحتى وزارة الخارجية.

وأحد أبرز الوجوه في هذا المعهد هو "كارل روف" كبير مستشاري الرئيس الأميركي جورج بوش وساعده الأيمن في البيت الأبيض. و يقولون عنه أنه القوة الخفية الكامنة خلف كرسي الحكم، أولا لأنه قوة حقيقية في البيت الأبيض، وثانيا لأنه عزوف عن الأضواء حتى لا يثار اسمه ويظهر في الصحف أو نشرات الإذاعات، فهو الرجل الغامض في البيت الأبيض، ومع ذلك تصفه الكاتبة الأميركية اليزابيث درو قائلة:

لم يسبق لأي مساعد أو معاون (أو مستشار) رئاسي أن تمتع - كما يتمتع كارل روف - بذلك القدر من القوة والتأثير والنفوذ. والأمر أعمق من مجرد صداقة قديمة مع الرئيس بوش، إنها ببساطة طاقة العقل السياسي المدبر، فهو بأحق "عقل بوش".

فمن هو كارل روف هذا وكيف كانت نشأته وتكوينه وكيف وصل الى هذا المستوى من التأثير البالغ العميق على الرئيس الجالس في المكتب البيضاوي ومن ثم التأثير الذي نراه على حركة أميركا في قارتها وفي العالم وهي حركة أصبح لها عواقبها الرهيبة في تشكيل مصائر الأمم ومستقبل الشعوب؟

- منذ نشأته الأولى في مدن ولاية تكساس، وهي ولاية البترول في أميركا، كان شغوفا بالسياسة، دراسة السياسة وممارسة السياسة أو فلنقل لعبة السياسة وخاصة التاريخ السياسي، ولاسيما استطلاعات الرأي العام وتحليل الاتجاهات السائدة بين قطاعات الجماهير.

- ولد كارل روف في ولاية كولورادو، وكان أبوه اختصاصيا في جيولوجيا المناجم ومن ثم تعودت أسرته على التنقل المستمر بين الولايات المختلفة، لكن معظم سنوات نشأته الأولى أمضاها روف في "يوتاه" وهي ولاية محافظة كما يصفونها وربما غرست فيه بذور الاتجاه المحافظ الذي أصبح الآن سائدا في أيديولوجية الحزب الجمهوري الحاكم في أميركا.

- التحق روف بثلاث جامعات بالتمام هي: يوتاه وتكساس وجورج ماسون، ولكنه لم يحصل على أي درجة جامعية، ومع ذلك، فربما عمد من باب التعويض إلى قراءات واسعة ومطالعات مستفيضة وخاصة في التاريخ السياسي للولايات المتحدة.

- التحق بصفوف الحزب الجمهوري ولاسيما أجنحة اليمين المحافظ الذي يخلط السياسة بالدين ويكرس تفوق الجنس السيد الأبيض وقد وصل به الحال إلى تحالفات - مازلنا نلمسها ونعانيها - مع الحركة والقوى الصهيونية في اسرائيل.

- خاض روف معارك انتخابية على مستوى جمعيات ورابطات سياسية كلها تنتمي إلى تيار اليمين، وجميعها ترمي إلى تحجيم دور الحكومة في حياة الناس، وتلك هي القصيدة المحورية للحزب الجمهوري، ويقول كتابنا أن هذه المعارك التي خاضها روف كانت بمثابة التمهيد الذي زج بروف إلى مستنقع الوحشية التي تتسم بها المعارك الانتخابية حيث لا يتورع المرشحون، ولا مستشاروهم ولا معاونوهم، عن أن يفعلوا أي شيء ويرتكبوا كل شيء في سبيل النجاح ودحر الخصم وهو ما طبقه كارل روف في إدلرة حملة بوش الرئاسية عام 2000 ضد المرشح الديمقراطي آل غور.

- من أهم الدروس "الخبيثة" التي تعلمها كارل روف هو الخلط بين الوطنية والانتماء العرقي، والمعنى هو أن تشكك في وطنية الخصم وألا تتورع عن استخدام ورقة الأبيض الأوروبي الأصل والأسود الزنجي الأفريقي الأصل من أجل ضرب القوى المعارضة وتفكيك وحدتها وتفريق صفوفها. هكذا لم يتورع روف عن أن "يدفع" مرشحه جورج دبليو بوش كي يقف خطيبا في جامعة بوب جونز في ساوث كارولينا، وهي جامعة الأصوليين أو المتطرفين أو المتشددين إلى درجة أنها تحظر بل تحرم أي صداقات أو علاقات تنشأ بين البيض والسود، بمعنى أنها تمارس أسوأ أنماط التمييز بين البشر، و كان في ظهوره كسب لأصوات هؤلاء المتطرفين العنصريين.

- منعطف التحول في حياة كارل روف كان اقترابه من جورج بوش الأب الذي اكتشف مواهبه فكان أن عينه مساعدا شخصيا له. هنالك اقترب كارل روف من تجسيد حلمه القديم، حلم بناء السلطة واكتساب النفوذ على أعلى مستوى، عبر النفاذ إلى عائلة كسبت ثروتها وصنعت اسمها من تجارة البترول ومن هذا الباب النفطي دخل بوش الأب إلى ساحة السياسة إلى أن أصبح نائبا لرئيس الدولة، رونالد ريغان.

وقد وجد كارل روف في بوش الابن "مشروعا" مبشرا بالنجاح إذا ما تعهدته يد خبيرة محنكة يحقق بها روف طموحاته التي صاحبته منذ نشأته الأولى. ومن عجب أن المستشار السياسي روف كان يراوده طموح أكثر بكثير من الطموح الذي راود جورج دبليو بوش شخصيا. ولم يكتسب روف لقب أو شعار المستشار لمجرد أنه اشتغل لدى عائلة بوش الأب أو الرئيس، بل لأن روف احترف مهنة المشورة السياسية وافتتح مكتبا لممارستها في تكساس، حيث السياسة في أمريكا لا تعني إدارة دفة الحكم على المستوى القومي ولا تنصرف إلى علاقات الدول، ولا إلى كبرى القضايا المؤثرة على حياة العالم ومقاليد الشعوب، السياسة بالنسبة لمكاتب الاستشارة الاحترافية في أميركا تكاد تنحصر في الإجابة عن سؤال أساسي هو: كيف تمارس اللعبة لكي تحمل مرشحك، وهو بالأدق زبون المكتب - العميل دافع فاتورة الأتعاب – إلى أن يدفع بك إلى "المنصب العام" أو إلى موقع العمل العام حسب المصطلح الأميركي الشائع ، بفضل أمواله من جهة، وبفضل جهودك أو ضغوطك من جهة ثانية. هكذا نشأت الصلة الفريدة

حقا بين جورج دبليو بوش وكارل روف، إلى أن وصل الأمر إلى تقاسم الأدوار، فكارل روف يفكر وجورج بوش ينفذ.

ولا سبيل إلى أن يعمل واحد من الرجلين بمعزل أو في استقلال عن الآخر، فالحاصل أن بوش هو السلعة الناتجة في حين أن كارل روف هو الذي يتولى الترويج لها وتسويقها، وعلى الرغم أن كارل روف يعد واحدا من جمهرة من محترفي مكاتب المشورة السياسية، وهذه الجمهرة تضم نحوا من 7 آلاف مستشار سياسي في محيط السياسة الأميركية، إلا أن تركيزه إلى درجة التجرد والتعمق جعله أكثر هؤلاء المستشارين تأثيرا ونفوذا على نحو ما يؤكده جيمس كارني مراسل مجلة "تايم" في دوائر الرئاسة الأميركية بالبيت الأبيض لدرجة أن أطلقوا عليه وصف "الجورو" بمعنى الحكيم أو المرجعية.

المشكلة مع هذا الحبر الفهامة أنه يصدرعن سلوك ميكافيللي: لا يتورع عن اتباع أي حيلة رخيصة ولا ممارسة الابتزاز والإرهاب الفكري ضد الخصوم السياسيين. إن الرجل يعيش حالة دائمة من خوض الحملات الانتخابية، حالة صراع محتدم باستمرار، شعور لا يفارقه بأن الخصوم مازالوا، هناك، وأن المطلوب ليس مجرد محاورتهم ولا حتى التغلب عليهم، بل المطلوب سحقهم وازالتهم من المسرح كي تخلو الساحة للسيد الرئيس.

ويقول المراقبون لكواليس السياسة في واشنطن: إن الرئيس بوش واقع بين قطبي التأثير اللذين يحركان له وبه ومعه عجلة الأحداث : الأول، هو كاثرين هيوز التي يصفها بعض مراقبي المشهد الرئاسي الأميركي بأنها أقرب إلى الأم "البديلة" للرئيس بوش، ووصفها البعض بأنها صانعة "صورة" الرئيس. الثاني، هو كارل روف صانع "عقل الرئيس". والتفاعل بين الصورة والعقل يصنع في نهاية المطاف مشهدا رئاسيا مهيبا ما زال يحظى باعجاب وتأييد جماهير الأميركيين ولاسيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.